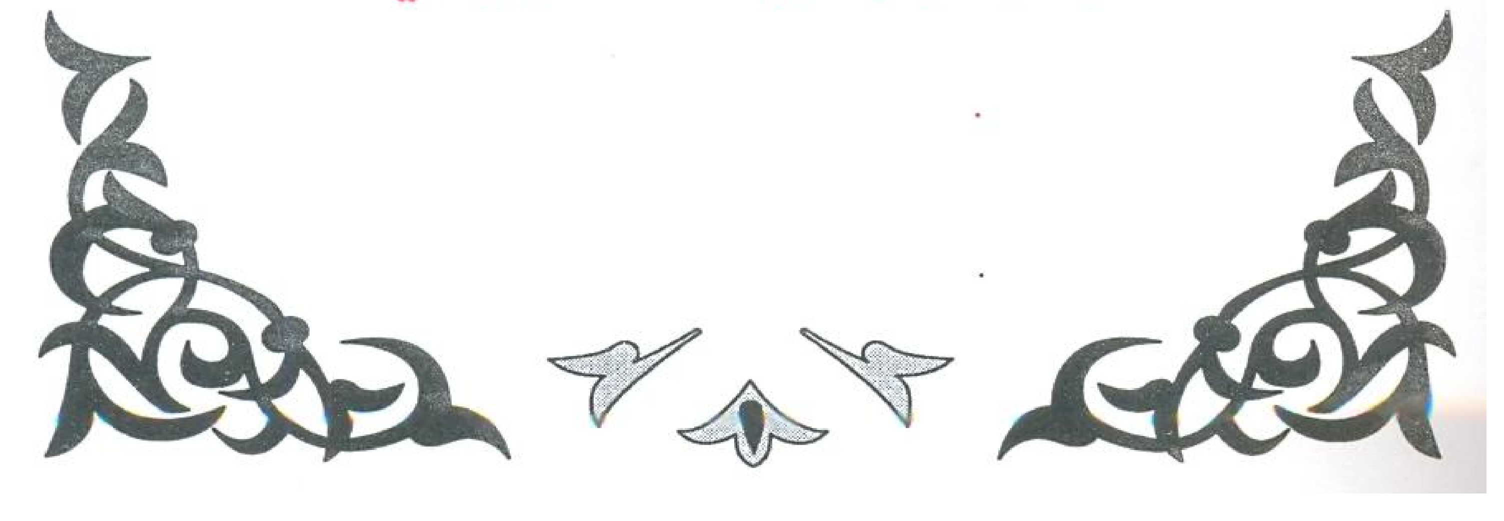


المحاضرة الثالثة

الركائز الأساسية لطالب العلم

تأليف

وحيد بن عبد السلام بالي



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد:

فمن المعروف أن طالب العلم الشرعي إذا لم يسترشد في بداية الطلب، فإنه قد يضل فهمه، وتزل قدمه، أو ينقطع في وسط الطريق، فلا يُحصّل علماً، ولا يَضْبطُ قواعد، ولا يُتقن فناً.

من أجل ذلك كتبت كلمات مختصرة تجمع أطراف الموضوع، ليقف طالب العلم في بداية الطريق علىٰ الوسائل التي يجب أن يتخذها، والركائز التي ينبغي أن يرتكز عليها في طريقه لتحصيل العلم.

وقد نُشرت هذه المقالات في مجلة التوحيد المصرية، فقام الشباب بتصويرها وتوزيعها، فلما رأيت ذلك دفعتها للنشر ليعم النفع.

وأسأل الله ـ تعالىٰ ـ أن ينفع بها قارئها، وناشرها، وكاتبها.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

كتبه

وحيد بن عبد السلام بالي

منشأة عباس في ٢٧ / ٣ / ١٤١٧هـ

النوايا التي يمكن أن يستحضرها المحاضر قبل إلقاء هذه المحاضرة

أولاً: النوايا العامة:

١ ـ ينوي القيام بتبليغ الناس شيئًا من دين الله إمتثالاً لقول النبي ﷺ: «بلِّغوا عني ولو آية» رواه البخاري .

٢ ـ رجاء الحصول علي ثواب مجلس العلم[(١)] .

٣ ـ رجاءأن يرجع من مجلسه ذلك مغفوراً له[(٢)] .

٤ ـ ينوي تكثير سواد المسلمين والالتقاء بعباد الله المؤمنين .

٥ ـ ينوي الاعتكاف في المسجد مدة المحاضرة ـ عند من يرىٰ جواز ذلك من الفقهاء ـ لأن الاعتكاف هو الانقطاع مدةً لله في بيت الله .

٦ ـ رجاء الحصول علىٰ أجر الخطوات إلىٰ المسجد الذي سيلقي فيه المحاضرة[(٣)] .

---

(١) روىٰ مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده» .

(٢) روىٰ الإمام أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٧) عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «ما اجتمع قوم علىٰ ذكر ، فتفرقوا عنه إلا قيل لهم قوموا مغفوراً لكم» ، ومجالس الذكر هي المجالس التي تذكر بالله وبآياته وأحكام شرعه ونحو ذلك .

(٣) في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من غدا إلىٰ المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح» .

وفي صحيح مسلم عنه أيضًا أن النبي ﷺ قال: « من تطهر في بيته ثم مضىٰ إلىٰ بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته : إحداها تحط خطيئة ، والأخرىٰ ترفع درجة» .

٧ ـ رجاء الحصول على ثواب انتظار الصلاة بعد الصلاة، إذا كان سيلقي محاضرته مثلاً من المغرب إلى العشاء، أو من العصر إلى المغرب[١] .

٨ ـ رجاء أن يهدي الله بسبب محاضرته رجلاً. فيأخذ مثل أجره[٢] .

٩ ـ ينوي إرشاد السائلين، وتعليم المحتاجين، من خلال الرد على أسئلة المستفتين[٣] .

١٠ ـ ينوي القيام بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ـ بالحكمة والموعظة الحسنة ـ إن وجد ما يقتضي ذلك[٤] .

١١ ـ ينوي طلب النضرة المذكورة في قول النبي ﷺ: «**نَضَّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وحفظها، ثم أداها إلى من لم يسمعها**». رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٧٦٦).

ـ ثم قد يفتح الله على المحاضر بنوايا صالحة أخرى فيتضاعف أجره لقول النبي ﷺ: «**وإنما لكل امرئ ما نوى**». متفق عليه.

---

(١) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا يزال أحدكم في صلاة مادامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة».

ـ وروى البخاري عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي صلى فيه، ما لم يحدث، تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه».

(٢)، (٤) روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم».

ـ وروى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثلُ أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا».

(٣) روى الترمذي وصححه الألباني عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: إن الله وملائكته، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير».

وصلاة الملائكة الاستغفار.

ثانيًا: النوايا الخاصة:

١ - ينوي حث المسلمين على طلب العلم .

٢ - ينوي حث المسلمين على احترام العلماء .

٣ - ينوي تعريف المسلمين بالطرق المثلى لطلب العلم .

٤ - ينوي حث المسلمين على حفظ أوقاتهم .

٥ - ينوي حث المسلمين علي السؤال عما يشكل عليهم من أحكام دينهم .

٦ - ينوي حث المسلمين على إخلاص النية في العلم وغيره .

عناصر المحاضرة:

١ - الإخلاص في طلب العلم .

٢ - تزكية النفس بالعلم .

٣ - أكل الحلال وأثره في طلب العلم .

٤ - أثر الشبع في نسيان العلم .

٥ - التدرج في الطلب .

٦ - الأدب مع الشيخ .

٧ - حفظ الوقت .

* * *



تقديم

إن الصحوة المباركة تشهد مزيدًا من إقبال أبنائها على طلب العلم، والتسابق إلى ميدان الفقه، لعلمهم أن العلم يُنير السبل، ويوضح الطرق، والجاهل أعمى لا يُبصر، أصم لا يسمع، وإن سمع لا يعقل.

ولكن بعض هؤلاء الفضلاء قد يبدأ الطريق من وسطه، فيظل حيران بين مسارب العلم ودروبه.

وبعضهم قد يبدأ ولكنه يراوح بين قدميه، ويمشي سريعًا ولكن مكانه، وبعضهم يقفز قفزًا، فتَخْفى عليه بعض الدروب التي قد يقع في بعضها، ولا يشعر بغبِّ ذلك إلا وهو في بعض تلك المهالك.

وآخرون يتعجلون العلم كله، فيفقدونه كله.

وأصحاب النتف، وذوو المسائل، وطلاب المعضلات وأرباب النوازل؛ لأولئك ولغيرهم، أردت أن أضع لبنة في صرح، وخطوة على طريق، مبينًا تلك الركائز التي ينبغي أن يسير عليها الطالب ليصل إلى الغاية من أقرب طريق، ويُحصِّل العلم من أيسر سبيل، من خلال ثلاث حلقات متتابعات، إن شاء الله تعالى[1].

* * *

(1) هذه الحلقات نُشرت في مجلة التوحيد المصرية محرم وصفر وربيع من عام ١٤١٧هـ.

الركيزة الأولى

إخلاص النية

يجب على طالب العلم أن يصحِّح النية في طلب العلم، ويحسن القصد، ويوحِّد الوجهة، ويُطهِّر القلب، وينقي السريرة، وذلك لأن العلم عبادة، والله يأمر بإخلاص العبادة له، فيقول: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [البينة: ٥].

وحسن النية في طلب العلم: بأن يقصد به وجه الله تعالى، والعمل به، وإحياء الشريعة، ونصر السنة، وقمع البدعة، وتنوير قلبه، وتزكية نفسه، وتحلية باطنه، والقرب من الله تعالى والتعرض لما أعدَّ لأهله من رضوانه، وعظيم فضله، وجزيل ثوابه.

قال سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ: ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نيتي.

ولا يقصد به الأغراض الدنيوية، من تحصيل الرياسة والجاه والمال ومباهاة الأقران، وتعظيم الناس له، وتصديره في المجالس، ونحو ذلك، فيستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

قال أبو يوسف ـ رحمه الله ـ: يا قوم أريدوا الله بعلمكم، فإني لم أجلس مجلسًا قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلسًا قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أُفتضح. اهـ.

والعلم عبادة من العبادات، وقربة من القربات، فإن خلصت فيه النية،

وحسنت الطوية، قُبِلَ وزكى ونمت بركته، وإن قُصد به غير وجه الله تعالى حبط وضاع، وذهبت بركته، وتحققت خسارته.

وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِيءٍ مَا نَوَى». رواه الستة.

وقال ﷺ: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يَقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إلاَّ ما كان له خالصًا، وابْتُغِي بِهِ وَجْهُهُ». رواه النسائي بسند جيد[١].

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة في الثلاثة الذين يُقضى عليهم أول الناس:

«وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وقَرَأَ القرآنَ، فَأُتِيَ به، فَعَرَّفَهُ نعمَهُ، فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فيها؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وعَلَّمْتُهُ، وقَرَأْتُ فيكَ القُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيقَالَ: قَارِئٌ، فقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وجْهِهِ حتَّى أُلقِيَ في النَّارِ...»[٢].

فالتكذيب هنا لا يعود على قوله: «تَعَلَّمْتَ، وَعَلَّمْتَ، وقَرَأْتَ».

لا، بل حدث هذا فعلاً، ولكنه يعود على قوله: «فِيكَ»، أي لا أريد إلا وجهك.

فَبَيَّن رب العزة أن هذا المرائي كان يريد أوجهًا أخرى: «لِيُقَالَ:... فَقَدْ قِيلَ...».

وكان أبو هريرة رضي الله عنه إذا حدَّث بهذا الحديث أُغشي عليه من شدة الخوف.

(١) حسن: رواه النسائي (٣١٤٠) وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٥).

فاللهم سلِّم، سلِّم، وصحح نياتنا، وحسِّن مقاصدنا، وطهِّر قلوبنا.

وليحذر طالب العلم من المفاخرة به أو المجادلة.

فقد قال النبي ﷺ: **«مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ العُلَمَاءَ، وَيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلِيه، فَهُوَ فِي النَّارِ»**(١).

وليحذر طالب العلم من إرادة الدنيا بعلمه.

فقد قال الحبيب ﷺ: **«مَنْ تَعَلَّمَ علمًا ممَّا يُبْتَغَى به وجْهُ الله، لا يتعلَّمُهُ إلا لِيُصيبَ به عَرَضًا منَ الدُّنْيا لمْ يَجِد عَرْفَ(٢) الجَنَّةِ يوْمَ القِيَامَةِ»**(٣) يعني ريحها.

❋ ❋ ❋

(١) حسن: رواه ابن ماجه (٢٥٣) وغيره، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، والترمذي (٢٦٥٥) بمعناه وحسنه.

(٢) عَرْف الجنة: رائحة الجنة.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣٦٦٤) وابن ماجه (٢٥٢) وصححه الألباني.

الركيزة الثانية

طهارة الباطن وسكينة الظاهر

ينبغي لطالب العلم أن يكون في مظهره سُنيًا، وفي باطنه تقيًا، وفي عقيدته سلفيًا، وفي حركاته متبعًا، وفي أفعاله مقتفيًا، وللبدع مجتنبًا، وللمخالفات منكرًا.

وذلك لأن العلم إذا لاقى أرضًا خصبة نما وترعرع، واستوى على سوقه، وآتى ثماره، وإذا لاقى أرضًا قاسية صلدة، أو سبخة رخوة، لم يكن له كبير فائدة، ولا كثير نفع.

قال الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ: يجب على طالب العلم أن يتجنب اللعب والعبث، والتبذل في المجالس والسخف والضحك والقهقهة، وكثرة التنادر، وإدمان المزاح، والإكثار منه، فكثرة المزاح والضحك تضع من القدر، وتزيل المروءة. اهـ مختصراً[١].

وقال الإمام مالك ـ رحمه الله: إن حقًا على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية، وأن يكون متبعًا لأثر من مضى قبله.

❊ ❊ ❊

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١ / ١٥٤).

الركيزة الثالثة
أكل الحلال

علىٰ طالب العلم أن يأخذ نفسه بالورع في جميع شأنه، ويتحرىٰ الحلال في طعامه وشرابه، ولباسه، ومسكنه، وفي جميع ما يحتاج إليه هو وعياله ليستني قلبه، ويصلح لقبول العلم ونوره، والنفعَ به، ولا يقنع لنفسه بظاهر الحل شرعًا مهما أمكنه التورع، ولم تلجئه حاجة أو يجعل حظه الجواز، بل يطلب الرتبة العالية، ويقتدي بمن سلف من العلماء الصالحين في التورع عن كثير مم كانوا يفتون بجوازه، وأحق من اقتُديَ به في ذلك نبينا محمد ﷺ حيث لم يأكل التمرة التي وجدها في الطريق خشية أن تكون من الصدقة مع بُعد كونها منها، ولأن أهل العلم يُقتدىٰ بهم، ويؤخذ عنهم، فإذا لم يستعملوا الورع، فمن يستعمله؟ . اهـ. [1] من تذكرة السامع.

شمِّروا معشر الإخوان عن ساعد الجد وساق الاجتهاد.

❊ ❊ ❊

(١) راجع تذكرة السامع والمتكلم ([illegible])

الركيزة الرابعة

مجانبة الشبع

ينبغي لطالب العلم أن يخفف من المطعم والمشرب، لأن البطن إذا امتلأ تبلَّد الذهن، وكسل الجسم، وقل الحفظ، ونقص الفهم.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إياكم والبطنة، فإنها ثقل في الحياة، نتن في الممات.

وقال لقمان لابنه: يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة.

وقد قيل: من شبع دخل عليه ست آفات:

١ ـ فقد حلاوة المناجاة.

٢ ـ تعذر حفظ الحكمة.

٣ ـ حرمان الشفقة على الخلق.

٤ ـ ثقل العبادة.

٥ ـ زيادة الشهوات.

٦ ـ كثرة التردد على الخلاءات.

وقال محمد بن واسع ـ رحمه الله ـ: من قلّ طعامه فهم وأفهم، وصفا

ورقّ، وإن كثرة الطعام لتثقل صاحبها عن كثير مما يريد .

وقال عمرو بن قيس ـ رحمه الله ـ: إياكم والبطنة فإنها تقسي القلب .

وقال الشافعي ـ رحمه الله ـ: الشبع يثقل البدن، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة .

وقال سحنون ـ رحمه الله ـ: لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع .

* * *

الركيزة الخامسة
البداية في العلم والتدرج فيه

ينبغي للطالب أن يراعي في هذا الباب أمرين:

الأول: البداية.

الثاني: طريقة التعلم.

البداية:

١ - أن يبدأ بأهم العلوم، وأساسها، وهو كتاب الله تعالىٰ، فيحفظه علىٰ يد شيخ متقن، ويجوِّده، ويثبته، حتىٰ يتمكَّن منه.

٢ - ثم ينتقل إلىٰ السنة، فيحفظ فيها مختصراً جامعًا لأحاديث صحيحة، مثل «اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان»، أو «مختصر صحيح البخاري»، أو «مختصر مسلم»، فإن كان ضعيف الهمة فليقتصر علىٰ حفظ «عمدة الأحكام» للحافظ عبد الغني المقدسي.

٣ - ثم ينتقل إلىٰ علم التوحيد، فيحفظ فيه مختصراً نافعًا جامعًا لعقيدة أهل السنة والجماعة، مثل «العقيدة الطحاوية»، أو «الواسطية»، فإن كان ذا ميل للنظم، فليحفظ «سلم الوصول» للشيخ أحمد حكمي رحمه الله.

٤ - ثم ينتقل إلىٰ علم الفقه، فيحفظ فيه مختصراً نافعًا جامعًا لما أجمعت عليه الأمة، مثل رسالة «الإجماع» لابن المنذر - رحمه الله، أو رسالة لما اتفق

عليه جمهور الأمة «الدرر البهية» للشوكاني - رحمه الله - أو كتاب «بدا
المتفقه»[١].

٥ - ثم ينتقل إلى السيرة النبوية، فيحفظ فيها مختصراً نافعًا مثل «الفصو
في اختصار سيرة الرسول ﷺ» لابن كثير - رحمه الله - أو «جوامع السيرة» لاب
حزم - رحمه الله.

٦ - ثم ينتقل إلى اللغة العربية، فيحفظ فيها مختصراً جامعًا لقواعدها، مث
«شذور الذهب» لابن هشام - رحمه الله -، فإن كان قاصر الهمة فليقتصر عل
حفظ «المقدمة الآجُرُّومِيَّة».

٧ - ثم يحفظ مختصراً في مصطلح الحديث مثل: «نخبة الفِكَر» لابن حج
رحمه الله.

٨ - ثم يحفظ مختصراً في أصول الفقه مثل: «الورقات» للجويني - رحم
الله تعالى.

فإذا جمع من كل علم بطرف[٢]، وتعلّق من كل فن بسبب، فليختر له علم
يتخصص فيه، ويواصل، ويبحث فيه ويدأب ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾
[البقرة: ١٤٨].

طريقة التعلم:

١ - أن تهتم بالحفظ في بداية الطريق فهو الأساس.

(١) وهو كتاب جمع أبواب الفقه على هيئة ضوابط يسهل على طالب العلم حفظها فيلم بالفقه من أقرب طريق.

(٢) راجع محاضرة: «رسالة إلى خطيب» فصل: مكتبة الخطيب.

٢ ـ إياك والتفرع من البداية، فإنه عطب.

٣ ـ لا تنتقل من علم إلىٰ علم حتىٰ تضبطه.

٤ ـ أن تتدرج داخل العلم الواحد، فتبدأ بالأسهل فالمتوسط، فالعالي، إياك والقفز فإنه مهلكة.

٥ ـ ألا تنشغل عن القرآن بغيره في بداية الطريق.

قال الشافعي:

لُّ العلومِ سوى القرآنِ مشغلةٌ إلا الحديثَ وإلا الفقهَ في الدينِ

٦ ـ ألا تعتمد علىٰ نفسك في التعلم والتأصيل، فإنه مزلة قدم، وعثران هم، ولكن عليك بالدراسة علىٰ أهل العلم، كما كان السلف ـ رحمهم الله ـ فعلون.

وقد قيل: من دخل في العلم وحده، خرج وحده.

٧ ـ لا تبدأ بالكتب التي تجمع الأقوال والاختلاف حتىٰ لا تشوش ذهنك في داية الطلب.

❊ ❊ ❊

الركيزة السادسة
اختيار الشيخ

الأصل في التعلم هو الدراسة على الشيوخ، والتتلمذ على يد العلماء وقراءة الكتب على المتقنين، فيوضحون للطالب غوامضها، ويقربون بعيدها وييسرون مشكلها، فيفهمها على وجهها.

وما ظهر هذا التمزق الفكري، والتشتت الدعوي، والانقسام الحركي إ بعد ظهور طلاب الكتب، وتلاميذ الصحف، فأصبحت ترى الفهم الأعوج والفتاوى الشاذة، والتعالم المقيت، والجرأة على العلماء بغير دليل رشيد، و فهم سديد.

ورحم الله الشافعي إذ يقول: من تفقه من بطون الكتب ضـ الأحكام[١].

فإذا تبين هذا فعلى طالب العلم أن يختار الأعلم والأورع والأسن، وليأخـ كل علم من أهله ولو رحل إليه، وقطع المفاوز للجلوس بين يديه، فإنه سـ ماضية وطريقة سلفية، وبها تخرَّج السلف الكرام، وتفقه العلماء العظام فعض عليها بالنواجذ.

قال ابن جماعة ـ رحمه الله : ينبغي لطالب العلم أن يقدم النظر ويستخير الله فيمن يأخذ عنه العلم، ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه وليكن ـ إن أمكن ـ ممن كمُلت أهليته، وتحققت ثقته، وظهرت مروءته

---

(١) تذكرة السامع (٥٨).

عُرفت عفته، واشتهرت صيانته، وكان أحسن تعليمًا، وأجود تفهيمًا، ولا رغب الطالب في زيادة العلم مع نقص في ورع، أو دين، أو عـــدم خلق جميل[١] . اهـ.

وليحذر طالب العلم من التتلمذ علىٰ يد مبتدع؛ فإنه سبب انحراف، وطريق ضلال.

وليحذر طالب العلم من التتلمذ علىٰ يد مبتدئ، فإنه مضلة فهم، ومَزِلّة قدم.

وليحذر طالب العلم من التتلمذ علىٰ يد مُتعالم، فإنه يجرؤه علىٰ العلماء، ويُبغِّضُ إليه الفقهاءَ، ويُنكِّسُ له العلوم، ويقلِّب له الأمور، فلا يخرج من عنده بعلم ولا أدب، ولا بخلق ولا ورع، فيخسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

وليحذر الطالب من التتلمذ علىٰ يد مشهور بين الناس بالعلم وهو ضعيفه، ومعروف بينهم بالفقه وهو فاقده، فإنه يعطيك من العلم أحرفًا، ومن الفقه أوجهًا، فلا يجمع لك بين أصل وفرع، ولا بين دلالة ولا دليل، إنما هي مسائل مبعثرة، وقضايا متناثرة، فتتشعب عليك الأمور، وتصعب عليك الأمور، فترفعك نجاد[٢] وتحطُّك وهاد، فبينما أنت تظن أنك قد قطعت في العلم شوطًا، وألقيت في الساحة سهمًا، إذا بك تراوح مكانك، وتسير محلك، فاحذر! فإن العمر قصير، والعلم غزيز.

* * *

(١) تذكرة السامع (٥٨).

(٢) جمع نجد، وهو المكان المرتفع.

الركيزة السابعة
الأدب مع الشيخ

١ ـ توقير الشيخ: صلىٰ زيد بن ثابت رضي الله عنه علىٰ جنازة، ثم قُربـ له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس، فأخذ بركابه، فقال له زيد: خل عنه يا بن ع رسول الله، فقال ابن عباس: هكذا يُفعل بالعلماء.

وعن المغيرة قال: كنا نهاب إبراهيم النخعي كما يُهاب الأمير.

وعن أيوب قال: كان الرجل يجلس إلىٰ الحسن ثلاث سنين، فلا يسأله ع شيء هيبة له.

وعن إسحاق الشهيدي قال: كنت أرىٰ يحيىٰ بن سعيد القطان يُصلي العصر، ثم يستند إلىٰ أصل منارة بالمسجد، فيقف بين يديه علي بن المديني والشاذكوني، وعمرو بن علي، وأحمد بن حنبل، ويحيىٰ بن معين وغيرهم، يسألونه عن الحديث وهم قيام علىٰ أرجلهم، إلىٰ أن تحين صلا المغرب، لا يقول لواحد منهم: اجلس، ولا يجلسون هيبة له وإعظامًا.

ويقال: إن الشافعي ـ رحمه الله ـ عوتب علىٰ تواضعه للعلماء فقال:

أهينُ لهمْ نفسِي فهمْ يكرمونَهَا ... ولنْ تكرمَ النفسُ التِي لا تهينُهَـ

٢ ـ علىٰ طالب العلم أن يُجلَّ شيخه، ويستر عيبه ويدعو له.

٣ ـ علىٰ طالب العلم ألا يخاطب شيخه باسمه، ولا يذكره في غيبته إل

مقرونًا بما يُشعر توقيره، كقوله: قال الشيخ، أو قال شيخنا - حفظه الله - أو قال الأستاذ وهكذا . . .

٤ - وعلى الطالب أن يصبر على جفوة تَحْدُثُ من شيخه، أو سوء خلق ونحوه، ولا يصدّه ذلك عن ملازمته، بل يعتذر إليه، ويجعل العُتب عليه، فإن ذلك أبقى لمودة شيخه، وأحفظ لقلبه، وأنفع للطالب في دنياه وآخرته.

وقد قيل: من لم يصبر على ذُلِّ التعلم بقي عمره في عماية الجهل، ومن صبر عليه آل أمره إلى عز الدنيا والآخرة.

اصبرْ على مرِّ الجفَا منْ معلمٍ ... فإنَّ رسوخَ العلمِ في نفراتهِ
ومنْ لم يذقْ مرَّ التعلمِ ساعةً ... تجرعَ ذلَّ الجهلِ طولَ حياتهِ
ومنْ فاتَهُ التعليمُ وقتَ شبابِهِ ... فكبِّرْ عليهِ أربعًا لوفاتهِ(١)

٥ - وليحذر طالب العلم أشد الحذر أن يماري أستاذه، فإن المراء شر كله، وهو مع شيخه وقدوته أقبح، وهو سبب للحرمان من كثير من العلم.

قال ميمون بن مهران - رحمه الله: لا تمار من هو أعلم منك، فإن فعلت خزن عنك علمه، ولم تضره شيئًا.

وعن الزهري - رحمه الله - قال: كان سلمة يماري ابن عباس، فحرم بذلك علمًا كثيراً.

٦ - وإذا نبهه الشيخ على دقيقة من أدب، أو نقيصة صدرت منه وكان يعرفها من قبل، فلا يُظهر أنه كان عارفًا بها وغفل عنها، بل يشكر الشيخ على إفادته ذلك واعتنائه بأمره.

٧ - إذا جاء الطالب فألفى الشيخ نائمًا، فلا ينبغي له أن يستأذن عليه، بل

(١) لكن لا ييأس، بل يطلب العلم حتى بعد الستين، فلأن يموت طالب علم خير من أن يموت جاهلاً مفرطًا.

يجلس ينتظر استيقاظه، أو ينصرف إن شاء.

قال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما : كان يبلغني الحديث عن الرجل، فآتي بابه وهو قائل[1] فأتوسد ردائي على بابه تَسْفِي الريح عليَّ من التراب، فيخرج فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟، ألا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث.

٨ - وينبغي لطالب العلم أن يتأدب أثناء الدرس، فلا يسبق الشيخ بشرح مسألة، أو جواب سؤال، ولا يكثر من العبث، أو الالتفات.

٩ - قال ابن جماعة - رحمه الله -:

على طالب العلم أن لا يدخل على الشيخ - في غير المجلس العام - إلا باستئذان، فإن استأذن ولم يؤذن له انصرف، ولا يزيد في الاستئذان فوق ثلاث طرقات، وليكن طرق الباب خفيفًا بأدب. اهـ. مختصراً[2].

١٠ - وقال أيضًا:

ومتى دخل على الشيخ وعنده من يتحدث معه، فسكتوا عن الحديث، أو دخل والشيخ يصلي أو يذكر، أو يكتب أو يطالع، فترك ذلك، فليسلم ويخرج مسرعًا إلا أن يحثه الشيخ على المكث، وإذا مكث فلا يطيل إلا أن يأمره بذلك. اهـ[3].

١١ - وينبغي لطالب العلم أن يجلس بين يدي شيخه بتواضع وسكون،

---

(١) قائل: نائم بالقيلولة.

(٢) انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١ / ١٥٨).

(٣) انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١ / ١٥٨).

ويصغي إلى الشيخ ناظرًا إليه متعقلاً لقوله، ولا يلتفت من غير ضرورة، ولا يعبث بلحيته أو فمه أو أنفه، ولا يستند بحضرة الشيخ إلى حائط ونحوه إلا بإذنه.

ولا يكثر كلامه من غير حاجة، ولا يعتمد على يديه إلى ورائه أو جنبه إلا لحاجة.

ولا يكثر التنحنح من غير حاجة، وإذا عطس خفض صوته وستر وجهه بمنديل ونحوه.

وإذا سمع الشيخ يذكر حكمًا في مسألة، أو فائدة مستغربة أو يحكي حكاية، أو ينشد شعراً، وهو يحفظ ذلك، أصغى إليه كأنه يسمعه لأول مرة في حياته.

وإذا ناول الشيخ كتابًا ناوله مفتوحًا على الموضع المراد، ولا يحذف إليه الشيء حذفًا.

وإذا أخطأ الشيخ فلا يرده أمام الناس، وإنما ينفرد به، ويتلطف في الرد فلا يقل له: أخطأت، وإنما يقول له مثلاً: أشكل عليَّ كذا مع ورود حديث بكذا فأرجو أن توضح لي ذلك. ونحو هذا.

* * *

الركيزة الثامنة
التثبت في الفتيا

ينبغي لطالب العلم أن يَعْلَم أن الفتوىٰ في الدين مسئولية عظيمة، فعليه أ
يدفعها عن نفسه ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلاً، صيانةً لنفسه، وإبقاءً لدينه.

قال البراء رضي الله عنه: لقد رأيت ثلاثمائة من أصحاب بدر ما فيهم مر
أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتيا.

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: لقد أدركت عشرين ومائة من الأنصار
من أصحاب رسول الله ﷺ يُسأل أحدهم عن المسألة، فيردها هذا إلىٰ هذا،
وهذا إلىٰ هذا، حتىٰ ترجع إلىٰ الأول.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من أفتىٰ الناس في كل ما يُسأل
عنه فهو مجنون.

وسُئل القاسم بن محمد بن أبي بكر: عن شيء، فقال: لا أحسنه، فقال
السائل: إني جئت إليك لا أعرف غيرك، فقال القاسم - وهو أحد الفقهاء
المشهورين - لا تنظر إلىٰ طول لحيتي، وكثرة الناس حولي، والله ما أحسنه،
فقال شيخ من قريش جالس إلىٰ جنبه: يا بن أخي الزمها، فوالله ما رأيتك في
مجلس أنبل منك اليوم، فقال القاسم: والله لأن يُقطع لساني أحب إلي من أن
أتكلم بما لا علم لي به.

وسئل مالك عن مسألة فقال: لا أدري، فقيل له: إنها مسألة خفيفة

سهلة، فغضب وقال: ليس في العلم خفيف، أما سمعت قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل: ٥].

فالعلم كله ثقيل، وخاصة ما يسأل عنه يوم القيامة.

قال عطاء: أدركت أقوامًا إن كان أحدهم ليسأل عن الشيء فيتكلم وإنه ليرعد.

وقال سفيان بن عيينة: أجسر الناس على الفتوىٰ أقلهم علمًا.

وسئل الشعبي - رحمه الله - عن شيء فقال: لا أدري.

فقيل: ألا تستحيي من قولك «لا أدري» وأنت فقيه العراق؟

فقال: لكن الملائكة لم تستح حين قالت: ﴿لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢].

وقال ابن وهب سمعت مالكًا يقول: العجلة في الفتوىٰ نوع من الجهل.

* * *

الركيزة التاسعة
حفظ الوقت

ليعلم طالب العلم أن الوقت رأس ماله، وأنه لا يصل إلىٰ ما يرجوه مع الحفظ والتحصيل إلا باستغلاله، والحفاظ عليه وليكن أشحَ بوقته من البخيل بماله، فما حفظ الحفاظ، ولا فقه الفقهاء، ولا علم العلماء إلا بحفظ أوقاتهم.

هذا المحدِّث الشهير «عبيد بن يعيش» شيخ البخاري ومسلم يقول: أقمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدي بالليل، وكانت أختي تلقمني وأنا أكتب الحديث[١].

وهذا الإمام سليم الرازي شيخ الشافعية في زمانه:

كان يحاسب نفسه علىٰ الأوقات حسابًا شديدًا، حتىٰ لا يدع وقتًا يمر بلا فائدة.

قال عنه المؤمن بن الحسن: رأيت سليمًا حفي عليه القلم[٢]، فإلىٰ أن قطه - أي براه وحسنه - جعل يحرك شفتيه، فعلمت أنه يقرأ أثناء إصلاحه القلم لئلا يمضي عليه زمان وهو فارغ[٣].

وهذا الخطيب البغدادي - رحمه الله -: كان لا يمشي إلا وفي يده جزء يطالعه، حفاظًا علىٰ وقته.

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢ / ١٧٨).

(٢) حفي القلم: انكسر منه.

(٣) تبيين كذب المفتري (٢٦٣).

وهذا أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي - رحمه الله تعالى - يقول عن نفسه: لا يحل أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة أو مناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملت فكري في حال راحتي وأنا منطرح فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره، وإني لأجد من حرصي على العلم وأنا في عمر الثمانين أشد مما كنت أجد وأنا ابن عشرين سنة.

واعلم - بارك الله فيك - أن القليل إذا ضُمَّ بعضه إلى بعض صار كثيراً، فلا تحقرنّ من العلم شيئًا وإن كان قليلاً، كما قيل:

اليومُ شيءٌ وغدًا مثلُهُ ... منْ نخبِ العلمِ التي تلتقط
يحصلُ المرءُ بها حكمة ... وإنما السيلُ اجتماعُ النقط

وهذا ابن الجوزي - رحمه الله - يقول: ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم فيه الأفضل فالأفضل من القول والعمل.

ويقول يحيى بن القاسم: كان ابن سكينة عالمًا عاملاً، لا يضيع شيئًا من وقته، وكنا إذا دخلنا عليه يقول: لا تزيدوا على «سلام عليكم... مسألة»، وذلك لكثرة حرصه على المباحثة وتقرير الأحكام(١).

وفي الختام أنثر بين يدي إخواني من طلاب العلم بعض الدرر فأقول:

١ - على طالب العلم أن يتأدب مع علماء الملة، فيترحّم عليهم كلما ذكرهم، إلا أن يكونوا من الصحابة فيترضّى عليهم.

٢ - وعليه أن يتأدب مع أقرانه، فلا يتعالى عليهم بل يتواضع لهم،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢١ / ٥٠٢)، ذيل تاريخ بغداد (١ / ٣٥٤).